مقدمة

بقلم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير

عرفت صديقى نصيف ، مؤلف هذا الكتاب ، بعد ظهور الترجمة العربية التى قمت بها لكتاب « على حافة العالم الأثيرى » ، ولمست منه ميلا صادقاً لمواصلة التجريب فى الظواهر الروحية ، بل لمست منه كذلك العنف فى ذلك الميل

وزاملته فى التجريب ، فأنست منه العنف فى المضى فيه ، حتى لقد كان يقسو على نفسه فيجشمها مشقة السفر ومتاعب الانتقال ، لكى يزداد اطمئنانا على تجاربه .

وقرأت كتابه هذا بعد طبعه ملزمة ملزمة ، فإذا بى ألمس فيما أقرأ هذا العنف يطغى على بعض عباراته ؛ فصاحبى عنيف حتى فى إخلاصه !

وإذا بى أجد الكتاب مجهوداً جباراً يشهد لصاحبه بالجلد والمجالدة والصبر والمصابرة . وكنت أود لو خفف من حدة لهجته ، ودقق فى نقل ما استشهد به من آيات ، وكنت أود لو كف عن ذكر المذاهب الفلسفية التى لم تثبت عمليا ، كالمذهب القائل برجعة الروح ، فتنحدر إلى نطفة لكى تكون جنينا يولد من جديد فى هذا العالم المادى ، لأن هذا لا يتفق والقاعدة الروحية الأساسية القائلة ببقاء الشخصية بعد الموت .

وإنى إذ أقدم هذا الكتاب إلى قراء العربية أرجو أن يتقبلوه بصدر الباحث الحر الواسع الصدر ، فالحقيقة فى الواقع بنت البحث الحر .

القاهرة
رجب سنة ١٣٦٦
يونيه سنة ١٩٤٧

أحمد فهمى أبو الخير

obeikandl.com

مقدمة المؤلف

فى عام ١٩٢٦ أنهيت دراستى الابتدائية بمدرسة الجالية الأميرية بالقاهرة ، وبعدها التحقت بكلية الأمريكان بأسيوط وعملا برغبة والدى إذ أرادنى وقتئذ أن أكون من رجال الدين دخلت قسما خاصا يسمى « بالقسم التهذيبى » ، على أمل الالتحاق بمدرسة اللاهوت بالعباسية بعد الحصول على دبلوم الكلية .

أتممت دراستى الثانوية وكنت أول الحائزين على دبلوم هذا القسم عام ١٩٣١ .

وكانت العادة المتبعة فى دخول مدرسة اللاهوت ، أن يقبل الطالب عن طريق المجمع التابعة له بلدته وهناك خمسة مجامع رئيسية حسب تقسيم الطائفة الإنجيلية : الوجه البحرى ، والأقاليم الوسطى ، وأسيوط ، والأقاليم العليا ، والسودان ، وقد تزيد عدد المجامع بعد قسمة بعضها إلى مجمعين .

ولما كانت الفيوم تابعة لمجمع الأقاليم الوسطى ، قدمت طلب الالتحاق باللاهوت عن طريقه ، وكان برأسه إذ ذاك المرحوم القس جبرا حنا ، وكان وقتئذ عضوا باللجنة المالية لسنودس النيل المشيخى الإنجيلى ، وهو المجمع المشرف على شؤون الطائفة الإنجيلية بالقطر ، وراعيا لكنيسة الفيوم الإنجيلية .

وفى ذلك الحين صادف الناس أزمة مالية كادت تجتاح العالم ولقد بلغت أشدها فى جميع مرافق الحياة وبخاصة الإرساليات والمنشئات الدينية ، فما كان من رئيس المجمع وهو أدرى بحالة السنودس المالية إلا أن يقف معتذراً للأعضاء عن قرار اللجنة الخاصة بالنظر فى الطلبات المقدمة لمدرسة اللاهوت بتأجيل ما قدم من طلبات إلى العام التالى لأن ميزانية السنودس لا تسمح بقبول جديد بالمدرسة ، ولا سيما أن الطالب وقتئذ كان يتناول مرتبا شهريا خلا سكنه فى المدرسة .

وهكذا تأجل قبول طلبى مع زميل لى كان حائزا على شهادة إتمام الدراسة الثانوية قسم ثان مع دبلوم الكلية ، بينما قبلت جميع الطلبات من زملائنا الذين قدموا عن طريق المجامع الأخرى دون إعارة الأزمة المالية أى التفات ، وكل مجمع حر فى قراراته .

وقد زادت دهشتى أنا وصديقى عندما سمعنا أن آخر دفعتنا ترتيبا من حيث العلم

والأخلاق قبل عن طريق مجمع أقاليم الوجه البحرى بينما أنا مع أولويتى وزميلى وله كفاءته العلمية مع ما توفر فينا من أهلية ومناسبة للخدمة أخلاقيا لم نقبل وقد كنا جميعا مجمعين على أن هذا الزميل لا يمكن قبوله بمدرسة اللاهوت بأى حال .

وما توقعناه قد تم فعلا إذ بعد قبوله بشهرين وصل إلى مسامعنا فصله من المدرسة نهائيا لأسباب أخلاقية لا تتفق وما تتطلبه الخدمة من عفة وطهارة فكان أول حادث من نوعه فى تاريخ مدرسة كهذه يقابله كذلك رفض طلبينا .

رجعت من المجمع إلى حيث كان يعمل والدى كناظر زراعة بإحدى القرى المجاورة لمديرية بنى سويف وقد بلغ منى اليأس إذ لم أعد فى نظر الله مستحقا أن أكون بين خدامه .

بعد أن استقر بى الحال بعد عناء السفر خرجت للنزهة بين المزارع وفى هذه الخلوة والهدوء الشامل بين أحضان الطبيعة جلست لأسترجع ما مر بى وأفكر فى هذا الحادث الجلل فى حياتى الذى كان كصدمة قوية ايقظتنى من سبات عميق .

لقد كنت منساقاً طوال تلك السنين وأنا سليم النية أحلم بذلك اليوم الذى فيه أنخرط فى سلك الخدمة الدينية . انكببت على دراستى بكل جد ونشاط محتفظا بالأولوية ما أمكن سواء أكان من الناحية العلمية أو الأخلاقية أو الغيرة الدينية وما أن حاولت وضع قدمى على الطريق الذى اخترته لنفسى حتى أمتدت يد الحياة لتسد الطريق المختار وهكذا تبغض الحياة مانضع من خطط لأن لها خططاً تفوق ما نتصور .

ثارت النفس رغم الهدوء الخارجى وانقلب ذاك الملاك المؤمن بكل شىء إلى كافر ملحد بكل شىء حتى بتلك القوة التى يسمونها الله .

فهاهم رجال الدين وهم أول من يدعى الإيمان بالله ضربوا لى أقوى الأمثلة فى الخوف من المستقبل . لو أن عندهم إيمان حسب قول السيد كيبة خردل ولو كان عملهم حقا هو عمل الله كما يدعون لما أعاروا الأزمة المالية وما يشابهها من الصعوبات أى انتباه .

ساورتنى تلك الثورة الفكرية بضعة أيام بعدها تركت « بنى حدير » حيث كنت إلى القاهرة حيث كان أكبر اخوتى يعمل كمعاون محطة بإحدى ضواحيها .

قدمت طلبا لشركة ڤاكوم وبعد أسبوع جاءنى الرد بالقبول وبينما أنا على وشك الالتحاق بالشركة فوجئت بخطاب من مدير الكلية فيه يطلب مقابلته بمكان ما بالقاهرة .

ذهبت حسب الموعد حيث كان فى انتظارى وما أن رآنى حتى رحب بمقدمى وأخذ يبدى أسفه الشديد وأسف الإرسالية عامة لقرار المجمع برفض طلبات الالتحاق بمدرسة

اللاهوت وكيف أنى كنت أحق من غيرى بالقبول .

بعدها ولشدة دهشتى فتح أمامى مسألة الشركة التى كنت على وشك العمل بها وعرفنى أنه قابل مديرها بناء على خطاب من الأخير فيه يستفسر عنى ، فطلب رفض قبولى لأن الإرسالية فى حاجة إلى خدماتى بأسيوط .

وهنا استكنت للأمر الواقع ولا سيما أننى كنت معافى من القرعة العسكرية لإنخراطى فى السلك الدينى وكان لا بد من تمضية خمس سنوات فى خدمة الإرسالية ورفضى يؤدى إلى دفع البدل ولم يكن معى منه شىء أو دخول الخدمة العسكرية .

سافرت راجعا للكلية بأسيوط حيث عينت مساعداً لأستاذ علم الأحياء وقد كان معبودى من بين جميع الدروس اذ أننى جد شغوف بدراسة كل ما يمت للطبيعة . وبجوار ذلك كنت أعمل كسكرتير لجمعية السيدات المسيحية لمنع المسكرات والمخدرات بالقطر المصرى تحت رياسة سيدة من أنبل سيدات القطر .

مرَّ عام خيرت بعده بين التقديم لمدرسة اللاهوت أو الانقطاع لخدمة الجمعية التى اتسع عملها واحتاجت لمن يجوب مدن القطر وقراه لعرض صور بالفانوس السحرى والقاء المحاضرات ضد المسكرات فرفضت الأولى ورحبت بالثانية وأخذت أجوب مدن الوجه القبلى شتاء وبلدان الوجه البحرى صيفا متنقلا بين مدن وقرى القطر من أسوانه حتى الإسكندرية لمدة عام كان بحق من أثمن سنى حياتى وأخصبها من حيث اختبار الحياة لما اتيح لى من الفرص لدراسة حياة أناس مختلفى المشارب فى اعتقاداتهم الدينية بعد عزلة خمس سنوات دراسة بالكلية أشبه بعزلة الناسك ، وما رأيته من تعصب بغيض بين طوائف المسيحية المختلفة كان عاملا فى تغيير مجرى أفكارى وكان تجوالى من بلدة لأخرى لحياتى بمثابة القمة من الجبل فقد أوقفتنى متأملا تجاه هذا العالم وأرانى سبل البشر ومروج أميالهم الدينية وكهوف شرائعهم وتقاليدهم .

بعد انتهاء العام بقليل وفى سبتمبر سنة ١٩٣٣ عين قريب لى مديراً لإحدى الشركات الهامة بأسيوط فذهبت لزيارته وبعد الزيارة تولدت فى نفسى فكرة التقديم والالتحاق بهذه الشركة وفى ٣٠ من الشهر نفسه عينت فى نفس الفرع مع قريبى هذا وتركت الجمعية والكل فى أسف على ترك عمل بدأت ترى نتائجه الملموسة .

بعد عام عينت أمينا لأكبر مخازن الشركة بالوجه القبلى وذلك بالفيوم .

أتخطى بالقارئ خمسة أعوام وفى يوم من أيام الآحاد عام ١٩٣٩ سمعت أن راعيا يدعى

القس شفيق برسوم سيقوم بالقاء عظة الصباح بالكنيسة الإنجيلية بالفيوم .

رجعت بى الذاكرة إلى ذلك الزميل الذى شاركنى حكم المجمع برفض طلبينا للالتحاق بمدرسة اللاهوت فذهبت لمقابلته وبعد الانتهاء من الخدمة اصطحبته لمنزلى وقد عرفت منه أنه أعاد الكرة بتقديم طلبه فى العام التالى وقبل .

وبعد تمضية ثلاثة أعوام بمدرسة اللاهوت تخرج كمبشر ليرسم بعد ذلك فى ٢٤ مارس سنة ١٩٣٨ قساً وراعيا لكنيسة طاميه الإنجيلية بالفيوم ، واشترك فى رسامته نفس الراعى الذى عارض فى قبولنا بمدرسة اللاهوت من قبل . وهكذا شاءت الأقدار أن تجمعنا بعد فراق ثمانية أعوام وأن يكون عملنا بنفس المديرية .

أدخلته غرفة الجلوس وقد أسدلت على نوافذها الستائر السوداء ، وهنا نظر إلىّ وسأل السؤال الذى يجول بخاطر كل من يرى علامات الحداد .

— هل فصل الموت بينك وبين صديق عزيز ؟ قل لى بحق الصداقة ما هذا السواد وعلام هذا الحداد ؟

— إن هذه الستائر التى أوحت لك بهذا السؤال ليست كما تتوهم ، بل هى إحدى مستلزمات حجرة تحضير الأرواح .

فنظر إلىّ مشدوها ثم قال أأنت من محضرى الجن والشياطين !

فأجبته محاولا ضبط عواطفى لهذه الإهانة التى صدرت منه عفواً : « إن عالم الجن والشياطين لا وجود له إلا فى أدمغة رجال الدين ، وإنى أحمد إلهى ألف مرة إذ سخر رئيس المجمع الذى قدمنا له سويا فرفض طلبينا وكان فى هذا الرفض نقطة تحول فى حياتى فبدل الانحدار إلى هوة اللاهوت أذ بى أصعد إلى جبل المعرفة حيث نور الحق ولا أدرى إلى أى مدى ستتم إرادة المولى عن طريق وأنا بإزاء ما فيه من نعمة روحية وشركة مع سكان العالم غير المنظور عاجز كل العجز عن شكر المنان على ما من به علىّ فإن من اتصل بهم داخل هذه الغرفة ليسوا بالجن والشياطين بل هم الأهل والأحباب الذين كانوا يوما ما معنا على هذه الأرض وقد حان لهم الوقت للتحرر من قيود الجسد المادى فانطلقوا غير آسفين على عالمنا ليتمتعوا بعالم هو أزهى العوالم نوراً وأبهاها جمالا .

وهنا استرسلنا معا فى مناقشة حارة وسيجد القارئ مثيلها فيما بعد ، وقد حاول ذكر آيات من الكتاب المقدس لتحريم ما أنا بصدده فكنت أجيبه من نفس الكتاب بما يثبت ويعضد الروحية إلى أن أسقط فى يده وأعيته الحيل أمام ما قدمت له من براهين كتابية

وعلمية خلاف ما كنت قد اختبرته عمليا وأخيرا وقد استساغ براهيني قال : — « لا تنسى ياصديق أن ظروفي كأحد رجال الدين لا تسمح لي بعمل ما تعمله ولا حتى المجاهرة به » .

وهنا رثيت صديقي لما هو فيه من أغلال كنسية وأصفاد عقدية فهو مقيد بأن لا يجاهر إلا بتعاليم الكنيسة التابع لها وأن يكون أمينا لها حتى ولو كانت مخالفة لكل معقول .

وقبلت يدي حمداً وشكراً لعدم انخراطي في سلك خدمة كهذه تفرض علي أن لا أرى الا بمنظارها ولا أفكر إلا بتفكيرها .

وهكذا شاءت السماء فمتقتني على حين غفلة من عبودية تعاليم اللاهوت لتسيرني حرا في موكب المعرفة والحق ، ومعرفة الحق هي الحرية الوحيدة في هذا العالم لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتقاليدهم ولا تسود عليه نواميس العقائد وأحكامها .

وهكذا خاب ظني فما اعتبرته يوما من الأيام عدم رضى من المولى إذ أغلق أمامي مدرسة اللاهوت إذ هو عين الرضى فأنا الآن حر طليق . أفكر كيف أشاء وأبحث ما أشاء وكم من نعمة في نقمة طويت فمن الآكل خرج أكل ومن الجافي خرجت حلاوة وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .

حمداً لله وألف حمد وشكراً للخالق وألف شكر على نعمة الروحية وسوف يقف القارئ الكريم على مبلغ ما حبتني به السماء علني في سرد قصتي في الروحية أقدم للآخرين نوراً وارشاداً . وسوف يجد القارئ علوما خفية وحكما ثيوصوفية كما يجد آيات كتابية وأخرى قرآنية فقد كتبت وشعاري خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت . وكل ما أتمناه من صميم فؤادي أن يوجد كتابي هذا ميلا عند القارئ لبحث هذا الموضوع الهام فيقوم بتطبيق ما يقرأه عمليا .

فإلى أصحاب العقول النيرة وحدهم أضيء نوراً جديداً وأهديهم إلى وحي جديد وأقلدهم سلاح النور . والشيء الوحيد الذي أجاهر به أن كتابي هذا سفر الحق خلا من زخرف القول أو الألفاظ الخلابة المنمقة وشمل وصف أبحاثي وتجاربي والمعلومات القيمة التي وصلت إليها وسواء عندي صادف ذلك قبولا من الناس أو لم يصادف فإني لست مبشرا .

ولكنني أومن أن الحق قوة كامنة في الخليقة ، وقد حان الوقت الذي يجد له مكانا في قلوب البشر .

يونيه سنة ١٩٤٧ — نصيف اسحق